الزراعة الجافة ومنطقة مريوط

(٢)

المحاصيل الزراعية

مواعيد الزراعة :

تبتدىء زراعة الشعير من شهر أكتوبر وتستمر الى آخر نوفمبر وقد يزرع في ديسمبر عقيب سقوط الامطار اذا كانت مناسبة • ويقتصر العرب عادة على زراعة مساحات قليلة في بداية الموسم ثم يزدادون رغبة بالزراعة بتوالى سقوط أمطارغزيرة فيزرعونما كانوا تركوه أولا من الاراضى وقد رأيت بعضهم هذا العام يزرعون جوانب التلول حوالى أوائل يناير • ولكن من المسلم به أن التبكير فى الزراعة أفضل من الانتظار حتى قرب سقوط الامطار تماما • لانه في حالة التبكير تضمن الانتفاع بالامطار الفجائية التى ربما تسبق الميعاد المعتاد لسقوطها وربما يكون هذا المطر الفجائى غزيرا ولا يعقبه الا مطر خفيف حتى يفوت موسم الزراعة •

وقد وجد أن أكبر محصول يأتى من أبكر زراعة في عام واحد مع تساوى الظروف الاخرى •

والزراعة المتأخرة عن اللزوم تكون نباتاتها الصغيرة عرضة للصقيع في شهرى يناير وفبراير وربما يأتى عليها موسم الحصاد فتجف قبل تكوين غلتها •

ويزرع البطيخ والقثاء والخياروالقرع الاسلامبولى والطماطم حوالى أواخر فبراير وأوائل مارس بالجهات الشمالية بالتربة الرملية بعد أن تتخزن فيها رطوبة الشتاء بعمليات الحراثة المتكررة عقب سقوط الامطار • وتغرس عقل الاشجار خلال فبراير ومارس كذلك •

طرق الفلاحة وهل يمكن تحسينها :

المتبع في زراعة الشعير بمريوط أن تبذر التقاوى نثرا بمعدل ثلاث كيلات للفدان ثم تحرث الارض بمحراث يشبه البلدى تماما مصغرا الى ربع حجمه الاصلى ويجره حمار أو جمل وهذا المحراث يفكك سطح الارض الجافة لعمق لا يزيد عن بوصتين ولا يقل عن بوصة واحدة ولكنه كاف لتغطية البذور وصفها في سطور منتظمة فتبدو بعد انباتها كأنها نثرت بآلة البذار أو أنها زرعت تلقيطا خلف المحراث .

ولا شك أن طرق الفلاحة هناك يمكن تحسينها بعمل تجارب عديدة سنين متوالية . وأرى أن خدمة الارض عميقا في الصيف وزراعة البذور بعد سقوط أمطار مناسبة في الشتاء أفضل من البذار على أرض صلبة قبل سقوط الامطار بزمن ربما يكون طويلا ولكن هذه الطريقة لا يمكن اتباعها الا في مساحات محدودة أو حيث تتوفر أدوات الحراثة بكثرة لان أراضى مريوط المتماسكة سريعة الجفاف عند سطحها .

وقد أجرى حراثة قطعة من الارض لشركة غرب الدلتا بجهة الحمام بالمحراث البلدى المعتاد في أغسطس ومرة أخرى بالمحراث العربى فى ديسمبر بعد البذار عام ١٩١٩ فكانت الارض المذكورة أكثر رطوبة مما جاورها وأعطى الفدان فيها عشرة أرادب وكانت كدية النبات تحتوى على أربعين فرخا وفي كل سنبلة من ٢٢ — ٤٨ حبة بينما أعطت الاراضى الاخرى المحروثة مرة واحدة بالمحراث العربى بعد البذار ما لا يزيد عن أربعة أرادب للفدان الواحد ... وحرث الارض عميقا يفيد كثيرا في مواسم الامطار الطيبة وأما في المواسم الرديئة فلا يفيد شيئا ويكون استعمال المحراث العربى أفضل مما عداه في مثل هذه المواسم .

والشعير بلا شك أقوى الزروع تحملا للعطش والظروف غير الملائمة . ومع ذلك يمكن استغلال تلك المناطق بالقمح والزمير وخصوصا

ذات المعدن المتماسك منها ويمكن زراعة العدس والفول والبسلة والحمص والترمس والحلبة والجلبان فى الاراضى الخفيفة ويكون نجاحها كما في الشعير مقرونا بأحوال سقوط الامطار •

ومن المسلم به أن أحسن تقاوى للزراعة بالجهات الجافة هى ما تعودت على جو وأحوال هذه الاقاليم كما أنه اذا أريد ادخال أصناف جديدة من المحاصيل الى تلك الجهات وجب العمل على استيراد تقاويها من جهات الزراعة الجافة بالممالك الاخرى •

الزروع الصيفية :

الزراعة الصيفية فى مربوط قاصرة على زراعة البطيخ والمقات والقرع الاسلامبولى والطماطم في المنقطة الرملية الكائنة بين ساحل البحر والهضبة الاولى • ولا تروى هذه الزروع لانها تنمو على الاراضى التى تخزنت فيها رطوبة الشتاء بعمليات الحراثة •

وفي زراعة البطيخ والمقات والقرع تنقع البذور لمدة يومين في الماء ثم تلف في خرقة مبللة وتدفن هذه في كومة من الرماد حتى يظهر جذير النباتات من البذور ثم تؤخذ هذه البذور وتغرس على طبقة رطبة فى الارض بعد ازالة سطحها الجافة خط الترى بمعدل ثلاث بذرات في كل جورة وعلى بعد نحو نصف متر بين الجور ولا يعطى للنباتات سماد بالمرة وأما خدمة الارض فتقتصر على قتل الاعشاب بين النباتات فقط •

وأما الطماطم • فبعد تربية الشتلة بمياه الآبار تؤخذ النباتات وتغرس فرادى أو كل اثنتين منها في جور غير عميقة وبعد الغرس يعطى لكل جورة شيئا من الماء ثم تردم الجورة قليلا بالرمل الجاف لمنع تبخر الرطوبة ولا تروى الزروع بعد ذلك أبدا •

وأرى امكان استغلال الاراضى الخفيفة صيفا بالذرة اذا كان موسم الامطار طيبا فتزرع الحبوب في فبراير بعد نقعها فى الماء لمدة ٢٤ ساعة مع موالاة الارض بالحراثة أو العزيق بين النباتات مرتين أو ثلاثة حتى تكبر وتتعمق جذورها في الارض وتفضل في هذه الحالة أنواع الذرة التى لا تمكث طويلا في الارض كالنوع البلدى •

وكذلك الذرة العويجة تصلح للانتفاع بألیافها فى غذاء الحيوانات وفي السنين الطيبة يمكن أخذ حشتين منها أو حشة واحدة وتترك الثانية لانتاج الحبوب وهذا النبات يتحمل العطش لدرجة كبيرة وتحبه الاغنام لاحتواء عيدانه على شىء من السكر •

والبرسيم الحجازى من النباتات ذات الجذور العميقة يتحمل حرارة الصيف ويصلح لزراعته بالجهات الجافة سواء كانت متماسكة أو رملية وانما يحتاج الى كثير من الرطوبة لانباته وتربيته في البداية ويزرع في مارس •

وأظن أنه في الامكان غرس الحناء في أراضى مربوط على العموم وخصوصا فى الاراضى الرملية والاعتراض الوحيد هو أن نبات الحناء يكون في حالة سكون في المدة بين نوفمبر وآخر يناير حيث موسم سقوط الامطار • ولكنى أرى أن الاشجار متى رسخت في الارض ربما لا تتأثر بسقوط الامطار في وقت سكونها وخصوصا اذا كانت الارض عميقة وعلى كل حال يمكن الاستدلال على مقدار نجاح هذا النبات بعمل التجارب • وعدا ذلك أرى امكان استغلال الاراضى الخفيفة بزراعة البطاطس عقيب سقوط الامطار في أى وقت من نوفمبر الى يناير على شرط تعهد الارض بالخدمة بين النباتات واستعمال قطع درنية كبيرة فى التقاوى •

الاستغلال الحيوانى والبستانى :

ان استغلال أراضى مربوط بالزروع الحولية لا يمكن أن يسد عوز الاهالى هناك ولن يكون سببا في عمران تلك النواحى يوما ما • لان السنين الرديئة كثيرة الاحتمال ومحاصيلها تكون غالبا قليلة أو رديئة لا تغنى

من جوع وخصوصا في الاراضى المتماسكة نوعا حيث أغلب سكانها فقراء ولهذه الاسباب كان من الضرورى أن لا نعتمد كلية على انماء المحاصيل الحولية وأن نبحث عن موارد أخرى للثروة في تلك الجهات •

فاقتناء الماشية والاغنام والجمال والماعز من أهم موارد الثروة في العالم وفي تربيتها بمناطق مريوط كما فى المناطق الجافة بأمريكا الشمالية فائدة كبيرة لا بأس بها ففى السنين الطيبة يكون غذائها مضمونا من تبن وحبوب وأعشاب كثيرة • وأما في السنين المتوسطة والرديئة فتتغذى على حاصل هذه السنين وعلى العليق الذى يكون مخزونا من محاصيل المواسم الطيبة لوقت الحاجة اليه فى السنين القحلة • وتكون هذه الاغنام وسواها بمثابة ثروة لصاحبها يسد منها عوزه في السنين الرديئة • ولكن من الاسف لا يعمل البدو في السنين الطيبة حسابا للسنين الرديئة فيبيعون محصولاتهم من حبوب وتبن فى مواسم الرخاء ثم اذا جاءتهم سنة قحلاء لا يجدون ما تقتات به أغنامهم فتموت هذه جوعا وضعفا •

واذا سلمنا أن الزروع تنمو في أغلب السنين ولكن بدرجة تختلف باختلاف مواسم الامطار • لرأينا أن انتاج محصول من الحبوب ليس مضمونا في كل السنين وانما المضمون غالبا هو محصول من العلف ففى السنين الطيبة الامطار ينمو الشعير مثلا ويعطى غلة وافرة ولكنه في السنين الرديئة ينمو ولا يعطى محصولا من الحبوب أو يعطى شيئا ضئيلا وفي هذه الحالة يمكننا أن نستفيد من سيقان النبات بتغذية الاغنام عليها•

والاستغلال الحيوانى غير منتشر في مريوط لدرجة يعتد بها نظرا لقلة الامطار واحتمال حدوث الجدب سنين متوالية وقلة المراعى صيفا•

وفى تلك الجهات يقتنى عترة من الاغنام البرقاوى كما يسميها العرب وتسمى هنا بالدرناوى ونوع من الماعز يغلب فيه السواد والجمال وقليل منهم من يقتنى الابقار •

وأرى أن اقتناء الاغنام والماعز متيسر جدا بجهات مريوط لو قرنت تربيتها بشيء من النشاط والحكمة • فغذاؤها متيسر حيث هي في مواسم الامطار الطيبة • وأما في المواسم الرديئة فيتحتم على راعيها أو صاحبها أن يتبع احدى ثلاثة :

١ — اما أن يبيعها كلها أو أكثرها قبل نفاذ المرعى وحلول أشهر الصيف الحارة ثم يعود فيكثر منها في المواسم الطيبة • وهذه الطريقة ليست غاية في الحكمة ولكنها أقل ضررا من ترك القطعان تموت جوعا •

٢ — أن يرحل بها الى مديرية البحيرة حيث يمكن تغذيتها على البرسيم وبرايب القمح والشعير وعلى الحشائش الكثيرة النامية في الحقول وعلى حواف الترع وعلى الجـراوة اذا دعى الحـال ذلك ولا تتكلف الرأس الواحدة أكثر من ثلاثين مليما في الشهر الواحد في الظروف الحاضرة •

٣ — أن يكون لديه مخزن كافي يدخر فيه من حاصلات السنين الطيبة قدر ما يسد حاجة أغنامه من تبن وحبوب في المواسم الرديئة المحتملة •

وروى لى أن أحد الاعراب الموسرين البخلاء ويدعى خيشم السو بجهة الحمام كان لديه عام ١٩٢٠ في فصل الشتاء نحو ألف رأس من الغنم فلما جاء صيف عام ١٩٢١ نفق منها أربعمائة رأس من الجوع وشدة الحر وبقى لديه ستمائة في شتاء ١٩٢١ ولما كانت هذه السنة كسابقتها قحلاء رديئة الامطار كانت النتيجة أن معظم القطيع نفق بتأثير الجوع الذى عقبه ضعف شديد واجهاض فى النعاج حتى لم يبق لديه سوى خمسين رأسا بالتقريب ويقـال انه كان يبخل عليهـا بالحبـوب فكان يغذيها صيفا على التبن فقط وكان يمتنع عن ارسالها لترعى بمديرية البحيرة حرصا على التكاليف ولقلة من يثق في ذمتهم اذا هو عهد اليهم الرحيل بها حيث تكثر المرعى •

أما الجمال فكثيرة الجلد سواء في السنين الطيبة أو الرديئة الامطار وغذاؤها الخشن من التبن والاعشاب متيسر دائما ولكن مما لا شك فيه عدم امكان التوسع فى اقتنائها الى حد محدود حيث يمكن استخدامها في نقل الامتعة والمحاصيل وغيرها جوار المدن والاسواق العامرة وفى حرائة الشعير •

وأغنام مربوط صغيرة الحجم لحمها جاف لذيذ وهى لا ترد الماء الا كل ثلاثة أيام مرة صيفا وقلما تسقى شتاء •

وليس الاستغلال الحيوانى بكاف وحدة لان يكون سلما لعمران تلك الجهات ما لم يقترن بالاستغلال البستانى الذى يمكن اعتباره بحق من أهم أركان الثروة في جهات مربوط وقد كان الكثير من تلك الاراضى مشغولا بكروم العنب الواسعة ومزارع الزيتون فى العهد الرومانى منذ ألفى سنة تقريبا وكان يستخرج من الاعناب نبيذا جيدا ومن ثمار الزيتون الزيت • ويظهر أن تلك البساتين قد اندثرت بزوال الحكم الرومانى وبتأثير الاهمال والجهل ولم يجدد غيرها الى عهدنا هذا •

فاستغلال أراضى مربوط بغرس أشجار الفاكهة وغيرها أمر لا بد منه لتعمير هذه المناطق لان الاشجار لا تتأثر كثيرا من السنين الرديئة كما تتأثر الزروع الحولية ولو أن محصولها يقل لدرجة محسوسة اذا توالت المواسم الرديئة ولكن من المسلم به أنها تعطى محصولا في كل عام • وقد تفضل القطع الواطئة من الارض لانشاء البساتين عليها فتستفيد أشجارها من سيول الامطار التى تأتيها من منحدرات التلول والجهات المستعلية عنها وحيث يمكن الاستفادة بقرب الماء الطبيعى في المواسم الرديئة •

وفي الوقت الحاضر يوجد بجهات مريوط عدد يسير من حدائق التين وحده أو معه أنواع أخرى كالخوخ والرمان والعنب • وتكثر حدائق النخيل في جهة القصر بالارض المتماسكة وتكثر الكروم بحدائق مطروح • والموجود من هذه البساتين بالارض الرملية لا يروى مطلقا وأما التى فى الاراضى المتماسكة فتحتوى كل حديقة على بئر وتروى صيفا من مياه هذه الآبار حسب اللزوم •

ولا يهتم العرب بتقليم أشجارهم ولا بتسميدها وقلما يخدمونها صيفا سوى باستئصال الحشائش ويعزقونها مرتين أو ثلاثا شتاء بعد سقوط أمطار مناسبة • ونمو الاشجار بطىء جدا فيثمر التين بعد أربع سنوات من غرس العقلة وتعطى الشجرة التى يقرب عمرها من ١٥ سنة من ٨٠ الى ١٠٠ أقة من الثمار اذا كانت صحيحة النمو وتثمر الاشجار مرة واحدة في السنة والانواع الشائعة هناك هى السلطانى والغرابى ولونه أزرق بسواد ويشبه الكمثرى والبيوضى وثمره مبطط ولونه أخضر مصفر •

وأرى أنه فى الامكان جدا ومن السهل انشاء بساتين واسعة بالاراضى الرملية بدون معونة الرى الصناعى بالمرة وبتكاليف بسيطة بالنسبة للنتائج المحققة في المستقبل • وقد لاحظت أن كل صاحب حديقة من العرب يضطر للبقاء في جوارها صيفا وشتاء لحراستها وتعهدها بالخدمة الضرورية فالبساتين اذن تحول دون رحلة أصحابها بعيدا عنها • ومما لا ريب فيه أن أصحاب الحدائق يمكنهم في الوقت نفسه اقتناء الاغنام والجمال وغيرها واستغلال الارض الواسعة الاخرى بزراعة الشعير وخلافه من الزروع الحولية فيكون لدى السكان من وسائل العيش ما يسد عوزهم ويحول دون رحيلهم الى جهات أخرى بحثا وراء مؤونتهم حتى فى السنين الرديئة •

أما أنواع الفاكهة التى يمكن أن يعول عليها في تلك الجهات فهى :

التين والكروم والخوخ واللوز والرمان والزيتون والنخيل اذا توفرت له الرطوبة في البداية والتين الشوكى ويقوم قسم البساتين بعمل تجارب لمعرفة الاصناف الاخرى المحتمل انجاحها هناك .

وهناك في زراعة التين والعنب يؤتى بعقل من كلاهما بطول أربعين سنتيمترا وتحفر الجور حتى تظهر الارض رطبة فتغرس فيها عقلة واحدة من التين أو عقلتين من العنب الى ثلاثة أرباع طولها ويغطى الربع الباقى من العقلة بكومة من التراب أو الرمل الجاف لمنع تأثير الحرارة على عصارة العقلة قبل ارسال جذورها في الارض وينتخب من التين العقل الطرفية المتفرعة لهذه الغاية . وفي الجهات الرملية لا تروى العقل أبدا أو تروى مرتين صيفا بمياه الآبار اذا كان موسم الامطار السابق لزراعتها رديئا وأما في الاراضى المتماسكة فتروى هذه العقل مرارا فى خلال الصيف الاول من زراعتها ثم يقل الرى تدريجيا في مواسم الصيف التالية حتى تقوى الاشجار على تناول الرطوبة من الارض .

وفي حالة الشروع في انشاء بساتين واسعة فلا يكون من المحتمل امكان تصريف ثمارها غضة وانما لهذه الغاية تنتخب أصناف الفاكهة التى لو أكثرنا من زراعتها يمكننا تصريفها في أسواقنا وأسواق العالم بحالات مختلفة .

فمن التين تغرس الاصناف التى تصلح للتجفيف .

ومن العنب تغرس الاصناف التى تصلح لعمل الزبيب والنبيذ .

ومن الزيتون تغرس الاصناف الاكثر صلاحيه لانتاج الزيت وهكذا .

وعلى ذكر الزيتـون أذكر أن حكومة تونس أنشأت من بساتين الزيتون نحو خمسمائة ألف فدان لغرض استخراج الزيت . ومن حيث ان تلك الولايات تعتمد في كل زروعها على مياه الامطار فقد يكون من المحتمل كثيرا بامكان الاستفادة من تجاربها في هذا النوع من الاستغلال ببلادنا المصرية في المناطق المعادلة لها على ساحل البحر وهى جهات مريوط الواسعة وشمالى شبه جزيرة سيناء من قناة السويس الى حدود فلسطين .

بيومى على
مساعد فنى بقسم البساتين